

— ٨٩ —

وإن قيل إن الزمان هو مقياس القدم فنحن حين نقول إن الزمان قديم فكأنما نقول إن الزمان هو الزمان ، أو إن الزمان وجد حين وجد ، ولم يوجد زمانان مفترقين .

وإن سأل سائل : لم وجد الزمان حين وجد ، ولم يوجد في حين قبله ، فكأنما يفرض زمانا موجودا قبل وجود الزمان .

ويكفي المسلم أن يعلم أن الزمان لم يوجد أبديا ، وأن وجود الأبد أكمل من الوجود الموقوت ، وهذا هو غاية التنزيه الذي يفرضه الإسلام على معتقديه ، وهذا — أيضا — هو غاية ما ينتهي إليه تمييز العقول .

ولا إعضال في فهم الصلة بين الوجودين : الوجود الأبدي ، والوجود في الزمان .

فالوجود الأبدي كامل مطلق الكمال :

ولا يكون الكمال المطلق بغير قدرة وإنعام ، ولا تكون القدرة والانعام بغير خلق وإبداع .

ومن العبث أن يقال إن الخلق إذن اضطرار .

لأننا لا نقول إن الله جل وعلا مضطر حين نقول إنه كامل مطلق الكمال : وإنه لا يقبل النقص والعيب ، وإن الخلق من كمال جوده وقدرته وإحسانه . إذ ليس بالمعقول أننا ننفي الاضطرار عن الله حين نجعله ناقصا في قدرة الخلق والإبداع بل نحن في هذه الحالة ننفي عنه مقتضيات الكمال .

ويستطرد بنا هذا إلى الكلام على صفات الله تعالى في القرآن الكريم . فإن هذه الصفات هي الصفات التي تنبئ لكل كمال مطلق منزّه عن الحدود .

والكمال المطلق واحد لا يتجزأ . ولا يكون كمالا مطلقا إلا إذا كان غاية في القدرة والعلم والرحمة والعدل والإحسان والتصريف .

وعلة الزلل كله أن نحصر هذه الصفات وهي لا تقبل الحصر ، أو نقيسها على شيء وهي أعلى وأكمل من كل شيء . فأصدق الإيمان — وأصدق